(٢٩٧)

وكل شيء تفتقرون اليه من امر دينكم ودنياكم فقد بيناه بيانا شافيا واضحا غير ملتبس وقيل انه تعالى لما ذكر احوال ايتي الليل والنهار وهما من وجه دليلان قاطعان على التوحيد ومن وجه اخر انهما نعمتان من الله عز وجل على اهل الدنيا وكل ذلك تفصيلا منه لا جرم عليه ثم قال وكل شيء فصلناه تفصيلا قوله عز وجل وكل انسان الزمناه طائره في عنقه قال ابن عباس رضي الله عنهما عمله وما قدر عليه فهو ملازمه اين ما كان وقيل خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسب به وقيل ما من مولود الا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي او سعيد وقيل المراد بالطائر ما قضي عليه انه عامله وما هو صائر اليه من سعادة او شقاوة وقيل هو من قولك طار له سهم اذا خرج يعني الزمناه ما طار له من جملة لزوم القلادة اذ الغل لا ينفك عنه والعنق في قوله كناية عن اللزوم كما يقال جعلت هذا في عنقك اي قلدتك هذا العمل والزمتك الاحتفاظ به وانما خص العنق من بين سائر الاعضاء لانه محل القلائد والاطواق والغل مما يزين او يشين فان كان عمله خيرا كان له كالقلادة وان كان شرا كان له كالغل في عنقه وهو مما يشينه ويخرج له بقوله تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا قيل يبسط للانسان صحيفتان ووكل بهما ملكان يحفظان عليه حسناته وسيئاته فاذا اخلت طويت الصحيفتان وجعلت معه في عنقه فلا ينشران الى يوم القيامة اقرا كتابك اي يقال له اقرا كتابك قيل يقرا يوم القيامة من لم يكن قاريا كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي محاسبا قال الحسن لقد عدل اليك من جعلك حسيب نفسك وقيل يقول الكافر انك لست بظلام للعبيد فاجعلني لحاسب نفسي ويقال له اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا قوله تعالى من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها معنى ان الثواب من عمل العمل الصالح مختص بعامله وعقاب المذنب مختص بفاعله ايضا ولا يتعدى منه الى غيره وهو قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى اي لا تحمل حاملة ثقل اخرى من الاثام ولا يواخذ احد بذنب احد بل كل احد مختص بذنبه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا لاقامة الحجة وقطعا للعذر وفيه دليل على ان ما وجب انما وجب بالسمع لا بالعقل قوله عز وجل واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها اي معنى الاية قولان احدهما ان المراد منه الامر بالفعل ثم لفظ الاية تدل على انه تعالى بماذا امرهم فقال الاكثر المفسرين معناه انه تعالى امرهم بالاعمال الصالحة وهي الايمان والطاعة وفعل الخير والقوم خالفوا ذلك امر عبادي وفسقوا والقول الثاني امرنا مترفيها اي كثرنا فساقها يقال امر القوم اذا كثروا وامرهم الله اذا كثرهم ومنه الحديث خير المال مهرة مامورة اي كثيرة النتاج والنسل فعلى هذا امرنا ليس الامر بالفعل والمترف هو الذي ابطرته النعمة ولذيذ العيش ففسقوا فيها اي خرجوا عما امرهم الله من الطاعة فحق عليها القول اي وجب عليها العذاب فدمرناها تدميرا اي اهلكناها هلاك استيصال والدمار الهلاك والخراب عن ام المومنين زينب بنت جحش ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه وحلق باصبعيه الابهام والتي تليها قالت زينب قلت يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث قوله ويل للعرب ويل كلمة تقال لمن وقع في هلكة او اشرف على ان يقع فيها وقوله اذا كثر الخبث اي الشر قوله تعالى وكم اهلكنا من القرون اي المكذبة من بعد نوح وهم عاد وثمود وغيرهم من الامم الخالية يخوف الله بذلك كفار مكة قال عبد الله ابن ابي اوفى القرن عشرون ومائة سنة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول قرن ويزيد بن معاوية اخرهم وقيل القرن مائة سنة وروي عن محمد بن القاسم عن عبد الله بن بسر المازني ان النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده على راسه وقال سيعيش هذا الغلام قرنا قال محمد بن القاسم ما زلنا نعد له حتى تمت له مائة سنة ثم مات وقيل القرن ثمانون سنة وقيل اربعون وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يعني

انه

انه عالم بجميع المعلومات راي بجميع المرئيات لا يخفى عليه شيء من احوال الخلق قوله عز وجل من كان يريد العاجلة اي الدار العاجلة يعني الدنيا عجلنا له فيها ما نشاء اي من البسط والتقتير لمن نريد ان نفعل به ذلك او اهلاكه وقيل في معنى الاية عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ان القدر الذي نشاء نعجله له في الدنيا لا الذي يشاء هو لمن نريد ان نعجل له شيئا قدرناه له وهذا ذم لمن اراد بعمله ظاهر الدنيا ومنفعتها وبيان ان من اراد الدنيا لا يدرك منها الا ما قدر له ثم جعلنا له جهنم اي في الاخرة يصلاها اي يدخلها مذموما مدحورا اي مطرودا مبعدا قوله تعالى ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها اي عمل لها عملها وهو مومن فاولئك كان سعيهم مشكورا اي مقبولا قيل في الاية ثلاث شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الاخرة بعمله ويتجافى عن دار الغرور والسعي فيما كلف له من العمل وترك ما امر بتركه والايمان الثابت الصحيح وعن بعض السلف من لم يكن له عمل ثلاث لم ينفعه عمل ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الاية قوله عز وجل كلا نمد هؤلاء وهؤلاء اي نمد كلا الفريقين من يريد الاخرة ومن يريد الدنيا من عطاء ربك يعني يرزقهما جميعا ثم يختلف الحال بهما في المال وما كان عطاء ربك محظورا اي ممنوعا عن عباده والمراد بالعطاء في الدنيا اذ لا حظ للكفار في الاخرة قوله تعالى انظر يا محمد كيف فضلنا بعضهم على بعض اي في الرزق والعمل يعني طالب العاجلة وطالب الاخرة وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا يعني ان تفاضل الخلق في درجات منافع الدنيا محسوس فتفاضلهم في درجات منافع الاخرة اعظم واكبر فان نسبة الدنيا في التفاضل في درجات الاخرة الى التفاضل في درجات الدنيا لنسبة الاخرة فاذا كان الانسان يشتد رغبته في طلب فضيلة الدنيا فبان تقوى وتشتد رغبته في طلب الاخرة اولى لانها دار المقام قوله عز وجل لا تجعل مع الله الها اخر الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وقيل معناه لا تجعل ايها الانسان مع الله الها اخر وهذا اولى فتقعد مذموما اي من غير حمد مخذولا اي بغير ناصر قوله عز وجل وقضى ربك اي امر ربك قاله ابن عباس وقيل معناه الحكم الجزم وقيل ووصى ربك وحكي عن الضحاك انه قراها ووصى ربك وقال انهم الصقوا الواو بالصاد فصار قافا وهي على قراءة ابن مسعود قال الشيخ الامام فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير هذا القول بعيد جدا لانه يفتح باب التحريف والتغيير وقد يتطرق الى القران ولو جوزنا ذلك لارتفع الامان عن القران وذلك يخرجه عن كونه حجة ولا شك انه طعن عظيم في الدين الا تعبدوا الا اياه فيه تخويف وجوب عبادة الله والمنع عبادة غيره وهذا هو الحق لان العبادة عبارة عن الفعل المشتمل على نهاية التعظيم لا يليق الا لمن له الانعام والافضال على عباده ولا منعم الا الله فكان هو المستحق للعبادة لا غيره وبالوالدين احسانا اي وامر بالوالدين احسانا اي برا بهما وعطفا عليهما واحسانا اليهما اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما معناه انهما يبلغان في حالة الضعف والعجز فيصيران عندك في اخر العمر كما كنت عندهما واعلم انه تعالى ذكر هذه الجملة كلف الانسان في حق الوالدين خمسة اشياء الاول قوله تعالى فلا تقل لهما اف وهي كلمة تضجر وكراهية وقيل ان اصل هذه الكلمة انه اذا سقط عليك تراب او رماد ونفخت فيه تزيله تقول اف ثم انهم توسعوا بذكر هذه الكلمة الى عند كل مكروه يصل اليهم والثاني قوله تعالى ولا تنهرهما اي تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك يقال نهره وانتهره بمعنى **فان قلت** المنع من التافيف يدل على المنع من الانتهار فما وجه الجمع **قلت** المراد من قوله ولا تقل لهما اف المنع من اظهار الضجر بالقليل والكثير والمراد من قوله ولا تنهرهما المنع من اظهار المخالفة في القول على سبيل الرد عليهما الثالث قوله وقل لهما قولا كريما اي حسنا جميلا لينا كما يقتضيه حسن الادب معهما وقيل هو يا ابتاه يا اماه وقيل ولا يكنيهما وقيل هو ان يقول لهما كقول العبد المذنب للسيد الفظ الغليظ الرابع قوله عز وجل واخفض لهما جناح الذل على لهما

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)